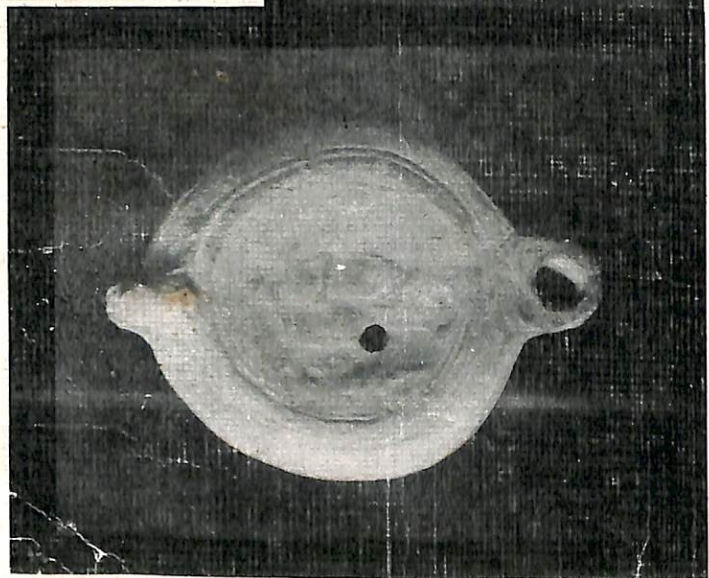
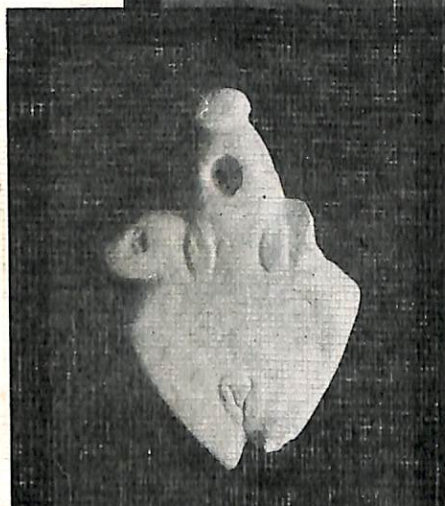
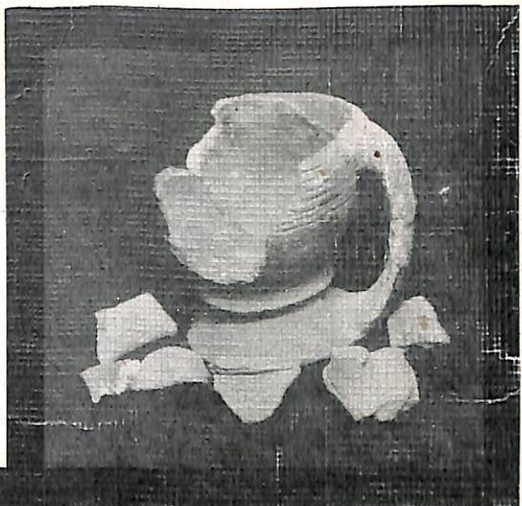


كنز
تين هينان
اباليسة



وزارة الثقافة والسياحة

كنز
تين هينان
اباليسة



نص : ف. ز. معطاوي

الأساطير

فوق تل وادي أبايسة ، وعلى بعد 80 كلم من تمنراست ، في الزاوية الجنوبية الغربية لكودية الهوقار ، وعلى إرتفاع 914م توجد بناية من الحجر الجاف ؛ هي ضريح ملكي يطلق عليه سكان منطقة الطوارق إسم «قبر تين هينان» .

و«تين هينان» عند الطوارق شخصية تاريخية . إذ تعتبر السف الأمومي لكل القبائل النيلية والملكة الأولى لملكة الطوارق . وحفظت الأسطورة بأمانة في عادات الطوارق . وأكثرها شهرة تروي أن «تين هينان» كانت مسلمة ، تركت التافيلالات ، وهي منطقة في جنوب الأطلس المغربي ، أين وُلدت ، متجهة نحو الهوقار .

ونص أسطورتها نسخة ليون لهيرو (Léon Lahurax) بالطريقة التالية : «عندما جاءت ، تين هينان ، من التافيلالات الى الهوقار مصحوبة بخادمتها الأمينة «تاكامات» ومجموعة من العبيد ، كانت ممتطئة ناقة بيضاء ، أخذت من بلاد البرابر بي كمية من الثار والذرة البيضاء . إلا أن الطريق الى الهوقار طويل بحيث مرّت الأيام ولم تظهر نقطة الوصول . بدأ الطعام ينقص وأشدّ الجوع حتى أصبحت حياة القافلة مهددة . ومن حسن حظهم شاهدوا كميات صغيرة من الحبوب التي إختزنها النمل بكل عناء وشقاء . أسرعت «تاكامات» بمساعدة العبيد وجمعوا هذه الحبوب وقدمت ما ألتقطته الى سيدها التي لم تنزل من على ظهر ناقاتها كما يليق بمكانتها . وما التقطوه سمح للمجموعة متابعة الطريق والوصول الى الهوقار بأمان» .

ويقال أنه يحتفل بهذا الحدث إذ أن خلف تاكامات الإمراي ، داق غالي ، وكل أحنث يدفعون كل سنة التويزة (الضرائب) الى خلف تين هينان النبلاء .

وعند وصولهم الى الهوقار تزوجت «تين هينان» و«تاكامات» وأستقرتا في أبايسة . ويقال أن تين هينان أنجبت بنتا وأنحدر منها «الكل رلا» النبلاء ، أما تاكامات فأنجبت بنتين إنحدر منها الداق غالي وأيت لوين . ورواية أخرى

تقول أنّ لتين هينان ثلاث بنات تحمل كل واحدة منهن إسم طوطمي : تينرت
يعني الظبي سلف الإينامبة ، ساكانتوت أي الغزال سلف الكل رلا ،
وتامروالت سلف الإيبوغلان .

وجاء في رواية أخرى لكن قليلة الإنتشار أن القبر المعروف بقبر
تين هينان هو حصن قديم أو قسبة بناها حاكم «رومي» بيزنطي يحمل إسم
جالوتا Jalouta ، كان يسكن الهوشار . وعند قدوم المسلمين ترك جالوتا
أباليسة متوجها نحو السوق في الأدرار لكن طرد منه وقتل عند عودته مرّة
أخرى الى الهوشار . وبعد موته إستقرّ جنوده في الهوشار وتزوجوا مع نساء
المنطقة ويعرف خلفهم الحاليين بإسم «الايماستين» . وسكنت بعد ذلك
«تين هينان» الحصن حيث دفنت به .

تجاوزت سمعة «تين هينان ، ملكة الهوشار» حدود المنطقة وروي عنها
حكايات عجيبة أشهرها قصة الأطلننتيد (L'Atlantide) . حيث ألف بيار
بونوا (Pierre Benoit) كتابه الأطلننتيد جاء فيه أن ضابطين فرنسيين سجنوا
عند ملكة أسطورية منحدره من الأطلننت وتعيش في قصر وسط الهوشار .
ومن المؤكد أنّ أنتينيا (Antinea) ما هي إلا شخصية خيالية لدى المؤلف رغم
اكتشاف ضريح تين هينان ستة سنوات من بعد .

نظرة من الناحية الأثرية

في سنة 1925 قامت بعثة فرنسية أمريكية لأول مرة بالحفر في الضريح ،
ظروف الإكتشاف معروفة إذ نشرت مقالات عديدة في الصحف آنذاك ،
وقبل الحفر كان الضريح عبارة عن كتلة ضخمة من الحجارة تعرف بالرجم
Redjim لما كشف عليها كليا ظهرت مقاسات الضريح متواضعة : 26,25م
للحور الكبير و23,75م للحور الصغير مع ارتفاع 4م . مدخل البناية يفتح
إلى الشرق ، صممت حول غرفتين تقوم بدور المدخل ، متصلتين ببعضها ،
وتفتح عليها من الجهتين مجموعة من الغرف ، معدل مساحتها يتراوح بين 3م²
و4م² . في جنوب الغرفة 7 تفتح الغرف 3 و4 والتي تتصل هي كذلك
ببعضها . وفي الشمال تفتح على غرفة مقاساتها كبيرة والغرفة 11 تؤدي الى

الغرف 10 و9 . وفي غرب الغرفة 6 ، نجد الغرفة 5 وجنوبا الغرفة 2 .
وهاتين الغرفتين تفتح على الغرفة 1 أي الغرفة الجنائزية التي عثر فيها على
هيكل المنسب لتين هينان كان الهيكل موضوعا داخل حفرة في أرضية
الغرفة 1 . مقاسات هذه الحفرة 2,30م طولاً و1,40م عرضاً ، و1,50م عمقا .
كانت تغطيها 6 بلاطات كبيرة مجموع الغرف يحيط بها حائط سمكه يتراوح بين
1,30م و4م .

وفي الزاوية الجنوبية الغربية للضريح حول الغرفة 1 كان يوجد في الأصل
مر . يبدأ من الغرفة 2 ، يحيط بالغرفة الجنائزية وينتهي في الغرفة 5 .
وهذا المر يسمح بالدوران حول الغرفة الجنائزية دون المرور بها ، والدخول
إلى الغرفة الجنائزية عبر فتحة والخروج منها دون الرجوع على الأعقاب .
وهذا النظام يسمح بتأدية الشعائر الجنائزية التي تتم بالطواف حول الغرفة
الجنائزية . وعادة الطواف عند زيارة الأولياء لا تزال قائمة الى الآن في بلاد
المغرب .

أما الغرفة 2 و5 عكس الغرف الأخرى للضريح تظهر فيها تنظيمات
داخلية مبهولة في الأضرحة الأخرى ؛ إذ نجد مصلى مستطيل من القرميد
المطلي بالجير الأبيض . استعمل لتقديم القرابين . وعند الحفر عثر على قطعة من
النحاس على شكل بوق ينتهي بأنبوب ضيق يظن أنه استعمل لإراقة الحجر .

ردم المر الموجود حول الغرفة الجنائزية ، وأقفل مدخل الغرفة 5 في فترة
غير معروفة (الرسم : مخطط الضريح) وتحت البلاطات الكبيرة في الغرفة 1
أكتشف الهيكل المنسوب لتين هينان . كان نائماً على الظهر ، متجهاً نحو
الشرق ، الساقين والذراعين مطوية . موضوعاً على بقايا من الجلد الأحمر
وبرفته مجموعة من الحلي : أسورة ذهبية وفظية ، جبات من العقيق
والزجاج ، تمثال صغير ، نواة الثمر ، الحبوب وقطع أخرى وصفها يأتي بعيداً .
وفورا بعد الإكتشاف في 1926 ، نقل الأثاث الجنائزي والهيكل الى
نيويورك ليعرض هناك ، وفي سنة 1934 الى باريس في إيطار معرض حول
الصحراء في متحف الإنسان ، معظم القطع المكتشفة والهيكل توجد في متحف
الباردو بالجزائر العاصمة .

وككل الأضرحة الكبيرة في بلاد المغرب ، استغل ضريح تين هينان كمركزا لمقبرة صغيرة ، وأثناء حفائر 1934 ، تم اكتشاف 12 قبرا ، على شكل أبراج جزءها العلوي مغطى ببلاطات مستوية ماعادا واحدة عثر بداخلها على هيكل نائم لطفل . أما القبور الأخرى في كل واحد منها هيكل نائم على جانبه الأيمن ، رأسه موجه نحو الجنوب أو نحو الشرق ، ولم يعثر على القرايين الجنائزية داخل هذه المدافن . القبور موضوعة بصفة منتظمة على نفس المسافة من المدفن الرئيسي ، ووضعها هذه المدافن موحدة فيما يخص العادات الجنائزية ، وطريقة بناءها تتركنا نقول أنها معاصرة نوعا ما إلى ضريح تين هينان وهناك من يقول أنها قبور الإيراد أي العبيد الذين رافقوا تين هينان .

التاريخ والتفسير

الرواية القائلة أن ضريح تين هينان روماني أو بيزنطي ما هي إلا نظرية خيالية لم تلقى أي تأييد علمي . صحيح أن وجود بناية بهذا الشكل في منطقة معروفة بقلّة البنايات الحجرية تبعث على الشك . لكن المقارنة بين هذا الضريح وأضرحة أخرى من نفس النوع في شمال بلاد المغرب سمحت لنا القول أن هذه البناية هي ضريح جنائزي شيد لهذا الغرض منذ البداية ، وهو يقرب إلى المدراسن في منطقة باتنا ، وقبر الرومية في تيبازا ، والجدار في فرنندة (تبهرت) .

ونجد هذا النوع كذلك في الغرب بالمغرب الأقصى مثل ضريح سيدي سليمان وفي التافيلالات الذي جاءت منه تين هينان حسب الأسطورة . وكما في أضرحة فجر التاريخ المدخل الوحيد للبناية مفتوح إلى الشرق ويطل مباشرة على قاعة كبيرة تؤدي دور المدخل . هذا النظام يشبه نظام بيت البحر المتوسط ورغم اختلاف التخطيط نوعا ما وضع هذا النوع في الأضرحة ذات الأروقة المعرفة في شمال البلاد : ذات الأروقة الدائرية في قبر الرومية بتيبازا ، ذات الأروقة المزدوجة في الجدر الكبير لترناتن في فرنندا ، وفي المدراسن قرب باتنا ولكن بشكل بسيط .

ولوجود عدد من الغرف صنف هذا الضريح بين تلك التي تحتوي على غرف ذات مصلى المعروفة في التافيلالات وموريطانيا وتجاوز هذا النوعين في ضريح «تين هينان» يعطي له أصالة تعززها بعده على مراكز إنتشار هذا النوعين : ذات الأروقة في الشمال وذات مصلى في الجنوب ماعادا الجدار . ومن هذا في امكاننا القول أن ضريح تين هينان ينتسب إلى العادة القديمة للأضرحة الجنائزية لفجر التاريخ في بلاد المغرب .

اكتشف علماء الآثار في الغرفة الجنائزية على مجموعة غنية من الأثاث الجنائزي . مكنت دراسته من التمييز بين نوعين من الحلي . النوع الأول يتكون خاصة من الأسورة الذهبية والفضية والحديدية المصنوعة على الطريقة الإفريقية ، والنوع الثاني يشمل أدوات من إبحاء متوسطي خاصة إغريقي - روماني . وهي مصباح من الفخار نقش عليه رمز النصر الممنح ، وأختف هذا النوع بعد القرن الثالث ميلادي ، ولؤلؤة من الذهب ، مربعة الشكل ومزينة بحلزونات ، وهذا النمط منتشر في صناعة الذهب الإغريقية الرومانية خاصة في القرن الثالث ميلادي . وعثر على قطع من هذا النوع في «تنس» .

ومن بين القطع المكتشفة مبخرة وجدت مثلها في ليبيا داخل قبر يعود الى القرن الرابع ميلادي .

وأهم قطعة في هذه المجموعة هي بصمة نقدية . وهي ورقة ذهبية ضربت على قطعة نقدية برونزية . ظهرت بين 308م و324م أي في عهد الأمبرطور قسطنطين الأكبر .

دراسة هذه المجموعة مع قطع آخر من نفس النوع عثر عليها في محطات أخرى أعطتنا معلومات تقريبية لتاريخ الأثاث الجنائزي .

- العادات الجنائزية

في المقبرة كما في الضريح أنواع الدفن متشابهة . كل الهياكل المكتشفة كانت نائمة بصفة عامة على الجانب الساقين مثنية قليلا إلتويت غصبا ، الرأس والرجلين موجهين بطرق متغيرة ، الوجه في أغلب الأحيان موجه نحو الشرق ، الذراعين ممدودة أو موضوعة تحت الساقين ، الدفن على عمق 50 سم أو 1م في حفرات مغطات ببلاطات أو داخل تجويف مكون من بلاطات .

الهيكال المسند لتين هينان وجد على طريقة الإثناء ، موضوعا على الظهر ، مغطى بقطعة جلد ومصحوب بمجموعة من القطع الثينة . ولهذا نقول أن عادات الدفن في الضريح والمقبرة لا تشبه العادات الجنائزية الإسلامية بل هي سابقة للإسلام . بالإضافة إلى هذه الملاحظات نجد التأريخ بواسطة الكربون 14 على قطع من الخشب التي وضع عليها الهيكال ، وأرجع لسنة 470 م . وهذا يمكننا القول أن الأثاث الجنائزي مثل الضريح يرجع الى قبل ظهور الإسلام .

تين هينان

من الناحية اللغوية إسم «تين هينان» هو كنية في لغة التاماهاك . يطلق على الحيمة أي «إيهان» وفي الجمع «إيناهن» وكلمة «تين هينان» يمكن أن تكون «صاحب الغرف» إذا كان يعني الشخص المدفون في الضريح المبني .

وحسب شرح حديث ، يطلق هذا اللقب على شخص لا يترك الخيم نظرا لإعاقة ، يقال للرجل «إنهينان» وللمرأة «تين هينان» وأشار ابن خلدون في كتابه «تاريخ البربر إلى ملكة تيكسي العرجاء» وتكون سلف طوارق الهوارء .

من الناحية العلمية وحسب المقاسات التي قامت بها م.س. شاملا C.M Chamla . ، على هيكال تين هينان ، لاحظ المميزات التالية أكتافها عريضة ، رجلاها صغيرة وقامتها عالية (1,72م - 1,75م) تشكو من إلتهاب في المفاصل في الناحية اليمنى يجبرها على العرج ، ولديها تشويه في العمود الفقري

www.asadlis-amazigh.com

وصف الأدوات الجنائزية لتين هينان

أ 1 سوار من الذهب ، مغلق ، ذو حبات ملساء متعاقبة بحبات محززة .
مقاساته : الوزن : 170 غ
القطر : 60 مم
السك : 9 مم

أ 2 سوار من الذهب ، مفتوح ، ذو حبات ملساء متعاقبة بحبات محززة .
مقاساته : الوزن : 280 غ
القطر : 70 مم
السك : 70 مم
الفتحة : 20 مم

أ 3 سوار من الذهب ، مفتوح ، ذو حبات ملساء متعاقبة بواسطة حبات محززة .
مقاساته : الوزن : 249 غ
القطر : 61 مم
السك : 9 مم
الفتحة : 2 مم

أ 4 سوار من الذهب ، مفتوح ، ذو حبات ملساء متعاقبة بواسطة حبات محززة .
مقاساته : الوزن : 182 غ
القطر : 63 مم
السك : 9 مم
الفتحة : 2 مم

أ 5 سوار من الذهب ، مفتوح ، ذو حبات ملساء متعاقبة بواسطة حبات محززة .
مقاساته : الوزن : 172 غ
القطر : 60 مم
السك : 7 مم
الفتحة : 3 مم

أ6 سوار من الذهب ، مفتوح ، ذو حبات ملساء متعاقبة بواسطة حبات محززة .

مقاساته : الوزن : 182 غ
السبك : 8 مم
الفتحة : 14 مم

أ7 سوار من الذهب ، مفتوح ، ذو حبات ملساء متعاقبة بواسطة حبات محززة .

مقاساته : الوزن : 172 غ
القطر : 60 مم
السبك : 6 مم
الفتحة : 3 مم

أ8 سوار من فضة ، مفتوح ، ذو حبات موحدة .

مقاساته : الوزن : 83 غ
القطر : 60 مم
السبك : 8 مم
الفتحة : 18 مم

أ9 سوار من فضة ، مفتوح ، ذو حبات موحدة .

مقاساته : الوزن : 80 غ
القطر : 60 مم
السبك : 8 مم
الفتحة : 25 مم

أ10 سوار من الذهب ، مفتوح ، ذو حبات موحدة .

مقاساته : الوزن : 80 غ
القطر : 60 مم
السبك : 8 مم
الفتحة : 17 مم

أ11 سوار من فضة ، مفتوح ، ذو حبات موحدة .

مقاساته : الوزن : 110 غ
القطر : 65 مم
السبك : 8 مم
الفتحة : 23 مم

أ12 سوار من فضة ، مفتوح ، ذو حبات موحدة .

مقاساته : الوزن : 110 غ
القطر : 65 مم
السبك : 8 مم
الفتحة : 24 مم

أ13 سوار من فضة ، مفتوح ، ذو حبات موحدة .

مقاساته : الوزن : 90 غ
القطر : 60 مم
السبك : 5 مم
الفتحة : 7 مم

أ14 سوار من فضة ، مفتوح ، ذو حبات موحدة .

مقاساته : الوزن : 89 غ
القطر : 58 مم
السبك : 5 مم
الفتحة : 7 مم

أ15 سوار من فضة ، مفتوح ، ذو حبات موحدة .

مقاساته : الوزن : 110 غ
القطر : 60 مم
السبك : 8 مم
الفتحة : 10 مم

أ16 سوار من حديد ، مغلق ، عبارة عن سلكين حديديين مضمورين ظفيرة متصلة ، والمنطقة التي يلتقي فيها السلكين مسطحة وتبلغ .

مقاساته : الوزن : 150 غ

القطر : 70 مم

السك : 10 مم

أ17 سوار من حديد ، مغلق مضمور .

مقاساته : الوزن : 60 غ

القطر : 80 مم

السك : 5 مم

أ18 سوار من حديد مغلق ، مسطح .

مقاساته : الوزن : 60 غ

القطر : 50 مم

السك : 7 مم

أ19 منجد perdentif من ذهب عبارة عن حلقتين ذات مركز مشترك بينهما خيط موج بواسطة فتيلة معدنية ، وفي الحلقة الخارجية نجد لؤلؤة شديدة بواسطة سلسلة .

مقاساته : الوزن : 3 غ

الطول : 45 مم مع اللؤلؤة

القطر : 15 مم

أ20 علبة من ذهب عبارة عن عمود مزين بجلزونيات ، وهذا النوع من الجواهر ، معروف في الصناعة الذهبية الإغريقية الرومانية في القرن الثالث .

- كنز اتينوي في مصر .

- كنز تنس « (cf. Hemgon) : كنز تنس) » .

مقاساته : الوزن : 2 غ

الطول : 29 مم

السك : 8 مم

أ21 خنجر فضي ، سلكي ، مسطح ذو زخرفة بسيطة عبارة عن خطوط ودوائر .

مقاساته : الطول : 80 مم

أ22 جوهرة من الجبس المزوج بسطين بيضوية الشكل .

مقاساتها : الطول : 56 مم

أ23 حلقة ذهبية صغيرة عديمة الزخرفة .

مقاساتها : القطر : 11 مم

أ24 حلقة ذهبية مسطحة .

مقاساتها : القطر : 13 مم

أ25 قرط من الذهب مرصعة بلؤلؤة .

مقاساتها : القطر : 15 مم

أ26 جوهرة من الذهب . .

مقاساتها : الارتفاع : 13 مم

أ27 جوهرة من الذهب ، على شكل وردة متكونة من خمسة أقرط ذهبية .

أ28 جوهرة فضية .

أ29 حبات من العقيق الأحمر .

أ30 بصمة نقدية ، عبارة عن أوراق ذهبية رقيقة في حافة سيئة ، يستنتج من

دراستها أنها تعود إلى عهد قسطنطين الأمبراطور الروماني .

أ31 مصباح من الفخار على وجهه الخارجي نجد رمز النصر الخارجي . اليد

مكسر إلا أنه في إمكاننا مشاهدة الثقب الموجود فيه .

أ32 قطع زجاجية لإناء مزينة برسوم هندسية .

أ33 معطر من الفخار ذو يد كبير زخارفه بسيطة ، هي عبارة عن ثلاثة

حزات عميقة تحيط بالفم في حين أن اليد مزينة بصفين من الصلبان

الصغيرة ، بينها حز يشغل طول اليد . وقد ملئت الحزات بعجينة من

المغرة الحمراء . أما بقية القطعة فهي ملساء .

أ 34 تمثال صغير من الجيس مخطط ، سمين ، في أعلى رأسه ثقب تعليق ، وهذا التمثال مدبب الطرفين .

أ 35 قطع فخارية رمادية اللون مزينة بمجرات .

أ 36 أسلحة حديدية .

أ 37 مسامير حديدية .

أ 38 قطع من قشرة بيض النعام .

أ 39 قطع من الجلد .

الخاتمة

كما سبق وذكرنا في النص ، إن وجود مثل هذه البناية في هذه المنطقة لدليل قاطع على وجود حضارة محلية متقدمة . وكنتين هينان ما هو إلا مزيج من أشكال محلية وتأثيرات متوسطة . وانطلاقا من قيمة هذه المجموعة من القطع الثمينة يمكننا القول أن إستعمال الذهب في الجنوب يمدنا بمعلومات عن الثروة الذهبية وتطور صناعة الذهب في أقصى جنوب بلادنا أثناء المرحلة القديمة ، ولا غرابة أن نعثر في هذه المنطقة على أدوات مختلفة الأصل منها أدوات ذو صنع متوسطي والتي هي نتيجة التبادلات التجارية بين الجنوب والشمال .

والأسورة الذهبية تبرهن عن التطور الكبير الذي رصت إليه الصناعة التقليدية المحلية ، وتمكننا من معرفة بعض الجوانب الحضارة القديمة في الجنوب والعلاقات التجارية مع الشمال .

والعثور على مثل هذه الأدوات القيمة والغنية يمكننا من معرفة الدور الكبير الذي لعبه الجنوب في المجال التجاري والتبادلات الثقافية شمال - جنوب في الفترة القديمة . هذه الأهمية التي لم تعرف قيمتها الحقيقية إلى يومنا . ولهذا فكرنا في تقديم هذه المجموعة من القطع الى الجمهور للمشاركة ولو بقسط بسيط في أظهار الدور الكبير والمشاركة الفعالة للجنوب في العلاقات مع البحر المتوسط خلال الفترة القديمة .